

شقي زيفك يا عشتار .. لقد مات بطل الطوفان



الأستاذ الدكتور



جواد مطر الموسوي



تلقيت قبل قليل (الساعة الثانية عشر ظهرا) من يوم الأحد (٢٠١٨/٥/٢٠ م) خبر وفاة عالم الآثار والتاريخ القديم الأستاذ الدكتور فاضل عبدالواحد ، بعد معاناة مع المرض استمر أكثر من ثمان عشر سنة، واهمال واضح من الجهات الحكومية والعلمية والثقافية، ولاسيما بعد الاحتلال سنة ٢٠٠٣ م، بعد ان صال وجال أكثر من أربعين سنة في الأوساط الثقافية ، منقباً وحافراً في تاريخ بلاد الرافدين ، وهو الذي كان يجيد قراءة اللغة الاكديّة بسلاسة وقارئ جيد للألواح العراقية القديمة، وأفضل من بحث في حادثة الطوفان ... خرج العديد من طلبة الماجستير والدكتوراه من العراقيين والعرب، الذين لهم مكانة مهمة اليوم في الآثار والتاريخ، منهم: عالم اللغات القديمة والآثار نائل حنون....

عرفته وانا طالب بكالوريوس وهو أستاذ ذوقامة سامقة ، وبعد تعيني في جامعة القادسية سنة ١٩٩١ م ، وأثناء إعداد أطروحتي للدكتوراه في كلية الاداب جامعة بغداد، اشتركت معه ربما في سنة (١٩٩٧ م) في لجنة لكتابة تاريخ العراق من سقوط بابل ٥٣٩ ق م الى انتشار الإسلام سنة ٦٢٢ م ، وكان يترأس اللجنة الدكتور نزار الحديثي عميد كلية الاداب وعضوية أسماء مهمة منهم: الدكتور واثق الصالحي والدكتور عبدالإله فاضل والدكتور منذر عبدالكريم البكر من جامعة البصرة ... وغيرهم، ولقد وجدت جميع الحضور يكونون له الاحترام وكان يجلس الى الجانب الأيسر من رئيس اللجنة الدكتور الحديثي، وكان الجميع ينظرون اليه في حل الإشكاليات العلمية، وهذا يدل على علو كعبه العلمي، واثناء المداولات والمناقشات العلمية في اللجنة طرحت آراء واستنتاجات علمية مهمة جدا، لكنها مع شديد الأسف لم تر النور... !!!

الدكتور فاضل هو فاضل في كل شيء بأخلاقه وحسن تصرفه، يمتاز بالهدوء وعذوبة الكلام وكل ما تحمله الشخصية البصرية من طعم شط العرب وعادات أهل أبو الخصيب وطيبة أهل البصرة، كان حلو المعشر رقيق الروح، يتسم بأعصاب باردة، وسنحة جميلة مفرحة ووجه يحمل بين ملامحه الكثير من الهموم والاحزان الى جانب ابتسامته لم تكتمل بعد، لم يظهر منها سواء طرفها يجعلك في حيرة من امرك ، كأنه تابلت سومري أغلقت عليك قراءة ملامح خطوط حروفه!!!...



الأستاذ الدكتور فاضل عبد الواحد من مواليد البصرة سنة ١٩٣٥ م، بكالوريوس من كلية الاداب – جامعة بغداد ١٩٥٧ م ، ماجستير من جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأميركية سنة ١٩٦٠ م كذلك الدكتوراه سنة ١٩٦٤ م تخصص السومريات ، شغل عدة مسؤوليات منها رئاسته لقسم الآثار كلية الاداب -جامعة بغداد . ومن كتبه : " عشتار ومأساة تموز " و " الطوفان " و " عادات وتقاليد الشعوب القديمة " مشترك مع الدكتور عامر سليمان و"من الواح سومر الى التوراة " و " سومر فكر ومعتقدات " و " تاريخ العراق القديم " مشترك مع الدكتور طه باقر ، ولديه اسهامات في مشاريع علمية كثيرة منها موسوعة "حضارة العراق " التي اصدرتها في الثمانينات وزارة الثقافة وكتاب "العراق في التاريخ " . وله اكتشافات علمية كثيرة من خلال

بحوثه ودراساته عن تاريخ العراق القديم وتأثيره على الشعوب القديمة ، ومنها اليهود ومقارنة ذلك مع الأساطير السومرية والبابلية وقدم شواهد حية على تأصيل التاريخ وعراقة وقدم حضارة بلاد الرافدين في العالم... له آراء واستنتاجات مهمة أهمها من حوار مع صفاء ذياب، جاء فيه:

❖- تكمن المشكلة السومرية: أن الاساتذة الباحثين من الاجانب لم يتفقوا على منطقة معينة جاء منها السومريون، ولكن، هم يتفقون على ان ظهور الحضارة السومرية في سومر جاءت من دون مقدمات، وتعد قفزة ليس لها ماض في العراق، وهي دلالة على ان السومريين جاؤوا من خارج العراق.

❖- لكنهم يعتقدون ان هناك فجوة حضارية بين الشمال والجنوب، ويفكرون في ان هذا الانقطاع هو الذي جاء خلاله السومريون من الخارج، ولم يكن هناك أي انقطاع، ولكن بدايات الحضارة كانت في الشمال، ونضجها كان في الجنوب، وليس هناك ما يسمى بفجوة حضارية.

❖- الزقورة بنيت بسبب الأشكال القائم، وهو عمق المياه الجوفية والفيضانات الكثيرة، وللتخلص من هذه المشكلة، ولاسيما وأن الزقورات أماكن عبادتهم، أي معابدهم، وهي منطقة مقدسة وينبغي أن ترفع أعلى من منسوب المياه، وإلا ضاعت كل هذه المقدسات في أي فيضان قادم، ولا ننسى أن بناء الزقورة كان من اللبن وهناك قشرة من الأجر، وهذه المواد عرضة للدمار.

❖- مع احترامي للأستاذ كمال الصليبي، لكن، وجّه نقد كثير لكتابه (التوراة جاءت من جزيرة العرب). ومصادرنا السومرية والبابلية واضحة، اذ تذكر ان الطوفان حدث في جنوب العراق في مدينة شروباك في العراق، وابطاله شخصيات عراقية، سومرية كانت أم بابلية قديمة، فمثلاً (زيوسدرا) بطل الطوفان في القصة السومرية، اسمه سومري، ومعناه (صاحب الحياة الطويلة). للدلالة على حصوله على الخلود، و(أوتنا بشتم) بمعنى (وجد الحياة)، نابشتم بمعنى (النفس)، والنفس هي الحياة، وأتراخاسس، اسمه بابلي بمعنى (المتناهي في الحكمة)، (أترا) بمعنى (المتناهي)، و(خاسس) بمعنى (الحكمة). فهؤلاء كلهم يحملون أسماء سومرية وبابلية، والمدن التي حدث فيها الطوفان سومرية وبابلية، وليس لي شأن بقول الصليبي وفرضياته عن أسماء المدن، وهذه مسألة أخرى وبعيدة عن الواقع.

❖- في فترة العبيد، ومن خلال الطبقة الغرينية، أفترض أن هناك حضارة في الجنوب، في العبيد أو في غيرها. ثم جاء الطوفان فترك هذه الطبقة الغرينية. ثم بعد ذلك عادت الحياة مرة ثانية، بعد أن انحسرت مياه الطوفان.

❖- بدأت التقديرات عن متى حدث الطوفان؟ ان رواية الطوفان قد وردت في ملحمة جلجامش، وبدأت التساؤلات: لماذا وُضع هذا اللوح في الملحمة ووظف في ملحمة جلجامش. ويعتقد أن السبب هو قرب الطوفان من جلجامش، أو قرب جلجامش من الطوفان، وان اللوح الحادي عشر ليس من أصل ملحمة جلجامش، لكننا نعرف ان الملحمة ككل تتكون من أربع قصص تدور كلها حول شخصية جلجامش، وظّفت بطريقة بارعة جداً ورائعة